لولا أنك شبَّبته من الجزع بما لا يجدي ، فقالت : إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات ، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه ، ولا في القدرة منعه ، ولي عذري بفضله ، فقد قال عز وجل :

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة : ١٧٣] .

* * *

إشراق من خُلق الإخلاص :

يُروى عن سيدنا موسى عليه السلام أنه قال :

إن أبغض العلماء إلى الله عز وجل رجلٌ يُحبُّ الذِّكر بالمغيب ، ويوسَّعُ له في المجالس ، ويُدعى إلى الطعام ، وتُفْرَغُ له المزاود ، بحقٍّ أقول لكم : إن أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة ! !

ويروي ابن خُزيمة بسنده المتصل إلى سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال :

« يا أيها الناس : إياكم وشرك السرائر ، قالوا : يارسول الله ، وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلي ، فيُزيِّن صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر » .

أما الإمام ابن الجوزي رحمه الله فيصوِّر لنا بمقطع صغير روعة هذا الخُلق فيقول :

. . . واعجباً من أهل الرياء ! على من يُبَهْرِجون ! ؟

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ [القصص : ٦٩] .

غلب على المخلصين الخشوع ، فجاء المرائي يُبَهْرِج ، فقيل : مهلاً فالناقد بصير .

لما جاء دود القزِّ ينسج ، جاء العنكبوت يتشبَّه ، فنادى منادٍ :

إذا اشتبهتْ دموعٌ في خدودٍ تبيَّن من بكى ممَّن تباكى!

أما ابن تيمية رحمه الله فيقول : كلما حقَّق العبد الإخلاص في قوله (لا إله إلا الله) خرج من قلبه تألُّه ما يهواه ، وتُصرف عنه المعاصي والذنوب ، كما ورد في الحديث الشريف :

« من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرَّمه الله على النار »[1] .

لذلك فالإخلاص ينفي أسباب دخول النار ، ومن دخلها من الموحِّدين كان في قلبه نوع من الشرك ، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، لهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٤] .

* * *

ما التوحيد ؟

التوحيد : هو أول ما يدخل به الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، وهو أول دعوة الرسل (عليهم السلام) ، وأول خطوات الطريق ، لذلك قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف : ٥٩] .

وقال سيدنا هود ـ عليه السلام ـ لقومه :

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

---

(١) رواه أحمد والطبراني .